وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

مظاهرالحداثة في شعر المتنبي

رسالة تقدّم بها الطالب
صندل سلمان ابراهيم النداوي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

باشراف
الأستاذ الدكتور
صلاح مهدي الزبيديّ

1433هـ 2012م

أُحيطَ المتنبي بعشراتِ الأسئلة وعلامات الاستفهام، وكثُرت حوله الدراسات بمُختلف المناهج (السّياقية والنّصّيّة) محاولةً إزالة الغُموض وتبديد الضباب، ومعرفة حقيقة نسبه ورصد خط سيرته وتفاصيل حياته، كونه من أعظم شعراء القرن الرابع الهجريّ، فقد رُزِق من الشهرة ما حُسدَ عليه، وذاع صيته حتى عرفه القاصي والدّاني، ودرسَ شعره طلابُ الأدب واللغة في عصره، وأحاط به عدد كبير من العلماء في مختلف الاختصاصات، وتأثّر به عشرات الشعراء وساروا على نهجه حتى ((ملأ الدنيا وشغل الناس))(1).

وبرغم كلّ تلك الدراسات بقيت تُحيط بالمتنبي كثير من الأسئلة حول نَسبه الغامض الذي يجعل الباحث أمام حقيقتين متناقضتين: الأولى هي شهرته وانتشار شعره وأخباره وحياته التي عاشها في بلاطات الملوك والأمراء، وانتقال أبياته على ألسنة الناس، وولادته في عصر مزدهر على الصعد كافة (الشعر والكتابة وعلوم الفلسفة والأنساب...)، أما الثانية فهي تعدّد الرّوايات في اسمه واسم والده ووالدته وقبيلته، وكأنهُ عاش في العصر الجاهليّ عندما كان اسمُ الشاعر يَرِدُ مُشافهةً فيضيعُ أو يحرّفُ بعدما تتناقله الرواةُ جيلًا بعد جيل، وهذا التناقض أدّى إلى انعدام الوضوح والدّقة حتى جاءت الروايات مُختلفة وكما يأتي:

1. ((أحمد بن الحسينِ بنِ عبدِ الصّمدِ الجِّعفِيّ الكِنديّ المُتنبّي)) (2).
2. ((هو أحمد بن الحسينِ بنِ عبدِ الصّمدِ الجِّعفِيّ الكوفيّ الملقّب بأبي الطيّب، وكان والده الحُسين يُعرف بـعيدانِ السّقّا))(3).

---

(1) العمدة : ابن رشيق القيروانيّ، ج2، ص15.

(2) تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب: باكثير الحضرميّ، تح د. رشيد عبد الرحمن صالح، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، ط1، 1976م، ص50.

(3) الصبح المنبي عن حيثيّة المتنبيّ: يوسف البديعيّ، تح محمد السّقّا ومحمد شتّا، دار المعارف، ط3، 1994م، ص20.

3. ((أحمد بن الحسينِ بنِ مرّة بنِ عبد الجبّار الجِّعفِيّ)) (1).

4. ((أحمد بن محمدٍ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ الصّمدِ الجِّعفِيّ)) (2).

إنّ الاختلاف في الرّوايات يكمنُ في اسم أبيه حيث يظهر في الفقرة الرابعة (أحمد بن محمد)، أما في الروايات الاخرى فقد ورد اسم (الحسين)، وجاء الاختلاف كذلك في اسم جدّه الذي ذكرتْهُ بعضُ المصادر على أنّ اسمه (عبد الصّمد)، وذكرته مصادر أخرى باسم (مرّة)، ويسجّل الباحث هنا دهشتهُ واستغرابهُ لذلك الاضطراب، مع العلم أن المتنبي وُلِد في وقتٍ مُتأخّرٍ بالقياس إلى الشّعراء والأدباء الذين سبقوه، وبرغم ذلك جاءت أسماؤهم محفوظة لا يلفّها الغموض، وعند التّوجه نحو نصوصه الشعرية للبحث فيها عن دليل حول نسبه، أو بعض تفاصيل حياته ، يصطدم الباحث بأبياتٍ شعريّة غامضة تُشتّت الأذهان وتبعثِرُ الحقائق كقوله في قصيدة مدح بها أبا العشائر:

أنا ابنُ مَنْ بعضُهُ يفوقُ أبا الـ　　　باحثِ والنّجلُ بعضُ مَنْ نَجلَه
وإنــّما يذكرُ الجدود لـــهُم　　　مَنْ نفـروهُ وأنـفذوا حِيَلَــه (3)

لقد حاول الشاعر في هذا البيت أن يجمع بين (الأنا) المتكبّرة والمتحدّية وبين التّعميم والغموض وصدْم المستمع من خلال إضافة العجز الذي لا يُقدّم في المعنى شيئاً ولا يُؤخّر، إذْ أنّ الموجة الشعريّة والمعنى المُراد قد اكتمل بالصّدر (أنا ابنُ مَنْ بعضُهُ يفوقُ أبا الباحثِ)، أما قوله : (والنجلُ بعضُ مَنْ نَجلَه) فهو حشو مكرر، ومعنى مألوف إذ أنّ الابن بعض أبيه، لكنه أضافه لِبَلْبَلَةِ ذهنِ المستمع، وإدخاله في دائرة التّأويل الناتج عن الغموض المقصود، فلم يفضّل أن يذكر اسم والده أو جده أو احد أقاربه في ديوانه الذي بدا خاليا تماماً من أيّ اسمٍ صريح، علماً منّا أنّ المتنبي يمتلك طاقات شعريّة عالية

---

(1) المتنبيّ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، ط1، 1987م، ص137.

(2) م ن : الصفحة نفسها.

(3) ديوانه: 279/3.

يستطيع فيها أن يرتقي بنسبه وبمهنة والده، وأن يفاخر بهما كما فعل جرير من قبل فقد حدّث صاحب الأغاني: قال((قال اسحق وقال الأصمعي: حدّثني بلال بن جرير أو حدّثتُ عنه : أنّ رجلًا قال لجرير: مَنْ أشعرُ النّاس؟ قال له: قُمْ حتى أُعرّفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّة وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجَعَلَ يمُصُّ ضرعها فصاح بهِ: أخرج يا أبتِ، فخرجَ شيخٌ دميمٌ رثُّ الهيئة وقد سالَ لبن العنزِ على لحيته فقال: ألا ترى هذا؟ قال نعم. قال: ألا تعرفه؟ قال: لا. قال: هذا أبي، أفَتدري لِمَ كان يشرب من ضِرع العَنزِ؟ قلت: لا. قال: مخافة أن يُسمعَ صوتُ الحَلبِ فيُطلَبُ مِنه لَبَنٌ، ثُمّ قال: أشعَرُ النّاس مَنْ فاخَرَ بهذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلبهم جميعاً)) (1)، وتلك حال الشعراء يصنعون لأنفسهم تأريخاً ومجداً ونسباً مرموقا، ولنتذكّر بيت الحُطيئة في قومٍ كانوا يخجلون من نَسَبِهم فرفعهم ببيت شعرٍ واحدٍ حتى صاروا يفخرون باسم قبيلتهم إذ قال:

قومٌ هُم الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ   ومَنْ يُسوّي بأنفِ النّاقة الذّنبا(2)

إنّ ما يقصده الباحث ويريد التركيز عليه هو قدرة المتنبي على التفاخر بأبيه أوجدّه أو قبيلته، ولكنّه أبى ذلك وأختار الصّمت، ، فجعل الاهتمام منصبّا على النّصّ الشّعري الذي عدّه المتنبي والداً وقبيلةً نَسَبَ نفسه إليه في أكثر من مناسبة، ومن ذلك قوله في صباه:

أنا ابن اللـقاءِ أنا ابن السّـخاء   أنا ابنُ الضّرابِ أنا ابن الطّعان
أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي   أنا ابن السروجِ أنا ابن الرّعان(3)

---

(1) الأغاني: ابو فرج الأصبهاني، علي بن الحسين (ت 356 هـ)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مصور عن طبعة دار الكتب، ج8، ص49.
(2) ديوان الحُطيئة: شرح أبي سعيد السّكريّ، دار صادر، بيروت، 1998م، ص17.
(3) ديوانه:237/4.

لقد حاول المتنبي التّكتّم على نسبه لأسبابٍ ذكرنا أحدها وجهلنا أكثرها، وهذا التكتّم جعل نسبهُ غامضاً ودفعَ الكثير من الباحثين إلى الشّكّ والتّأويل لأنّه ((كانَ يكتُمُ نَسَبه. فسُئِلَ عن ذلك، فقال: إنّي أنزلُ دائما على قبائل العرب، وأُحبُّ أن لا يعرفونني، خيفة أن يكون لهم في قومي تِرةٌ))(1)، ومن الباحثين من جعله ابن أحد كبار العلويين من زواج سرّيّ (2)، ومنهم من توصّل إلى أنّ ((مولد المتنبي كان شاذًّا)) (3)، ومنهم مَنْ جعل اسمه ((أحمد (المتنبي) بن محمد (المهديّ) بن الحسن (العسكريّ) بن علي (الهاديّ) بن محمد (الجواد) بن عليّ (الرّضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب)) (4)، ويرى أحد الباحثين أن المتنبي ((موضعٌ للتجنّي من قِبل الذين شوّهوا نَسَبه فجعلوه ابن سِفاحٍ، ومن قِبل الذين حاولوا أن يجدوا له مكانا في شجرة آل البيت، والحقيقة أن الرجل شاعر بارع نابه نابغة)) (5)، وقد حاول الأستاذ محمود محمّد شاكر معرفة أخبار والدته فقال: ((جَهِدتُ أن أجد لها خبراً واحداً، أو ذكراً في كلامٍ فما وصلت)) (6).

وقد انعكست كلّ هذه الظّروف الغامضة والمضطربة خاصة في نسبه على شعريّته، فنتجَ تبعاً لها شعرٌ له خصائصٌ وسمات تميّز بها فكان مُعظمه غامضاً ومبهماً، واختار الشاعر مناطق الشّك والقلق ليخوض فيها، كما ظهرت نبرة الحزن والتشاؤم من جرّاء اغتراب النسب ، وكَثُرتْ في أشعاره معاني الحِكم والأمثال، وسوف نفصّل في هذه السّمات والخصائص الشّعريّة في موضعها من البحث.

---

(1) الصبح المنبي: يوسف البديعي، ص20.
(2) ينظر: المتنبيّ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، ص171.
(3) مع المتنبيّ: طه حسين، دار المعارف بمصر، ط13، ص25.
(4) المتنبيّ يستردّ أباه: عبد الغنيّ الملّاح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980م، ص163.
(5) أبو الطيب المتنبيّ في مصر والعِراقين: د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1983م، ص31.
(6) المتنبيّ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، ص163.

إنّ تأثير تلك الظّروف التي مرّ بها المتنبي كان واضحاً على شخصيّته ومواقفه ورؤاه وتوزعت وفقًا لما يأتي:

1. الموقف من الإنسان:

لم يتمكّن المتنبي من الانسجام مع النّاس ((فالضّعف البشريّ أقلقهُ ولجوؤه الى المديح أشعرهُ بالمهانة، وكانت حصيلة كل ذلك نقمة متزايدة وأمانٍ غير محققة وكراهية للناس متصاعدة))[1]، فاتّخذ موقفاً سلبيا من الإنسان تعالياً على الجّميع بشعوره أنّه متميّز عنهم تارة، وشكّاً في أخلاقهم وطباعهم وميلهم إلى الشّر تارة أخرى، وقد كان هجومه على جميع البشريّة من خلال أبي البشريّة آدم (عليه السلام) وعلى لسان حصانه في بلاد فارس إذ قال:

يقول بِشِعبِ بوّان حصاني: أَعَنْ هذا يُسارُ إلى الطِّعانِ
أبوكم آدمُ سَنَّ المعاصـــيّ وعلّمكم مفارقـــة الجِنانِ[2]

إنّ شعريّة المتنبيّ قد تجاوزت المحظور حتّى جعلته يخوض في مواضع يصعب التّحدّث عنها والولوج في عوالمها، ومن الجدير بالذّكر أنّ الباحث لم يلمس نَبرةَ الإعتزاز بالحياة إلّا في هذه القصيدة ، فمعظم قصائده تنبذ الحياة وتزهد فيها وفي مغرياتها، وتذكر الطّعان والحرب والموت والنّزال إلا في هذه الأبيات التي بيّنت مدى التغيّر الذي أصاب شعريّته وهو في أواخر أيّامه يتجوّل وسط هذه المدن المُبهرة بجمالها وطبيعتها الخلّابة، ويستمربنظرته السلبية على النفس الإنسانية حتّى يصفها بأنها بؤرة الشّر وأنّ الظلم يكمن فيها، ومن ذلك قوله في هجاء إسحق بن كيغلغ:

الظّلمُ من شِيَمِ النّفوسِ فإن تجدْ ذا عِفــّةٍ فَلِعــلّةٍ لا يَظْلـــمُ[3]

(1) الشعر والزمن: جلال الخيّاط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975م، ص40.
(2) ديوانه: 286/4.
(3) ديوانه: 186/4.

إنّ هذه العلاقة ((يسودها التّوتر وترتبط بالخيبة المتكررة فالشّاعر يبحث عن الحبّ ولكنه لا يجده)) (1).

وقد ينتابه الشعور بأنّ الإنسان متآمر مع الزّمن بغية إشعال نيران الفِتن وزعزعة السّلام، ومن ذلك قوله:

وَكَأنّا لم يَرْضَ فينَا بريْبِ الـ   ـدّهْرِ حتى أعَانَهُ مَـنْ أعَـانَا

كُلّـمَا أنْبَتَ الزّمَـانُ قَنَـاةً   رَكّبَ المَرْءُ في القَنَاةِ سِنَانَا(2)

إنّ الشّاعر يحاول تفعيل هذه الفكرة (النّفس الظالمة) وإطلاقها مخترقاً عنصر الزّمن بإضافة الأداة (كلّما) الدّالّة على الاستمرارية مُعلنًا رؤاه التّي تمخّضت عن تجاربه في الحياة، ثمّ يعلن براءته من النّاس وعدم الرضا عنهم، ويظهر ذلك في قصيدة مدح بها المُغيث بن العجليّ:

ودهرٌ ناسُهُ ناسُ صـغارٌ   وإن كانت لهمُ جُثَثٌ ضَخَـامُ

وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ   ولكنْ مَعدِن الذهبِ الرّغامُ(3)

لقد فَضّلَ العُزلة التامّة عن الناس. ويظهر ذلك جليًا في أغلب قصائده وهو ملمحٌ أسلوبيّ خاصّ بالمتنبي وقد ألحّ على تلك العزلة بشكلٍ غريب ومستمر، ويبدو ذلك في قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن سيّار بن مكرم التميمي:

أذُمُّ إلى هذا الزمـان أُهيـلَهُ   فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمـهم وغدُ

وأكرمهم كلبٌ وأبصرُهم عَمٍ   وأسهدهُم فَهدٌ وأشجعهم قِردُ(4)

لقد انهارت ثِقتَهُ بالإنسان وأطلقَ أحكامَهُ التي هي عُصارة تجاربه الذاتية ورصفها شعرًا. قال:

---

(1) سيفيات المتنبيّ : دراسة نقديّة للاستخدام اللغويّ ، سعاد عبد العزيز المانع، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدّة، ط1، 1981م، ص140.
(2) ديوانه: 273/4.
(3) ديوانه: 142/4.
(4) ديوانه: 65/2.

خليلُك أنتَ لا مَنْ قُلتَ خِلّي   وإنْ كَثُر التّجمّلُ والكلامُ [1]

وقال:

ومَنْ عرفَ الأيّامَ معرفتي بها   وبالنّاسِ رَوّى رمحَـهُ غيرَ راحـِمِ

فليس بمرحومٍ إذا ظفروا بـــه   ولا في الرّدى الجاري عليهم بآثِمِ[2]

لقد مزج المتنبي في الأبيات السابقة بين المُتكلم والغائب، ففي قوله : (مَنْ عرفَ الأيامَ) فهو يخاطب الغائِب، ثمّ ينتقل إلى قوله : (معرفتي بِها) ليشير إلى نفسه (المتكلم)، وهذا يعني أنه مطلوب للقتل إنْ ظُفِرَ بِه، ولذلك فهو دائم الذّكر للقتل والموت والحرب والسّيف والرمح ...، ويتوقّع الموت مقتولًا لأنّه لا يريدُ الموت الطبيعي كما يظهر في قوله من قصيدة رثاءٍ لوالدة سيف الدولة:

نُعِـدُّ المشرفيّةُ والعوالـي   وتقتُلُنا المنونُ بـلا قتـالِ[3]

وقال أيضًا مُبيّنًا موقفه من الناس:

وَقْتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدّتَهُ   في غَيرِ أُمّتِهِ مِنْ سالِفِ الأُمَـمِ

أتَى الزّمَانَ بَنُوهُ فـي شَبيبَتِهِ   فَسَرّهُـمْ وَأتَينَـاهُ عَلى الهَرَمِ[4]

وقال:

فلَمّا صارَ وُدُّ الناسِ خِبًّا   جَزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ [5]

لقد ارتقى المتنبي بنصوصه مُوَظِّفًا إمكاناتِه البلاغية ، فتراهُ يستعمل التّضاد الذي يقابل التفضيل كيّ يوسّع الفجوة المعنوية والدلالية بين الصفات (أعلمهم، فدمٌ أحزمهم، وغدُ ...)، ثمّ يصف في أبيات أخرى الزمن بالشابّ ثم بالشّيخ الهرم، وهذه أفكار خاصّة بالمتنبي لأننا سمعنا عن (الزمن القاسي أو الزمن الرديء...)، ولكن لم

(1) ديوانه: 143/4.
(2) ديوانه: 176/4.
(3) ديوانه: 103/3.
(4) ديوانه : 217/4-218.
(5) ديوانه: 202/4.

نسمع عن الزمن الشاب أو الهَرِم! وذلك لأن خيال الشاعر كان واسعاً وأفكاره كانت عميقة، وتراه في بيت آخر يصفُ الناسَ ضمنَ قصيدة العتاب مع سيف الدولة بقوله:

فلو خُلِقَ النّاسُ مِن دهرهم   لكانوا الظّلامَ وكنتَ النهارا[1]

وعقّبَ ابن جنّيّ قائلًا: ((لو أمكنه أن يقول: لكانوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق، وقال العكبريّ: قلتُ : يمكنه لكانوا اللياليّ والوزن يستقيم)) [2]، ولكنّ المتنبي كان يعرف الألفاظ المرادفة (الظلال او الليالي أو غيرها) ولكنّه قصدَ لفظة (الظلام) فعلًا، فلفظة (الظّلال) لا تدل على المعنى البَشِع الذي أراده المتنبي للناس ,ذلك لأنّ الظلّ زائل بمجرّد الحركة، او بعد مرور الوقت، وكذلك لفظة (الليالي) التي أرادها العكبريّ لأنها قد يتخلّلها ضوء القمر أو النجوم أو لأنها زائلة بعد شروق الشمس، أو أنها تأتي في الغالب لتدلّ على لحظات السّمَر ودفء المشاعر بين العشاق، إلا أنّ المتنبي حاول الاستغراق في وصف هؤلاء الناس فاختار لفظة (الظلام) كونها خالية من أي شعاع، ولإستمرارها وخلوّها من أي ضوء.

2. الموقف من الزمن:

لم يتمكّن المتنبي من تحقيق كلّ طموحاته، فلم تتحقق لديه الطمأنينة ولا السلطة التي أعلن عن رغبته فيها في أكثر من مناسبة، وهو أحد الشعراء الذين ((لمْ يأتلفوا مع أحداث زمانهم فظلّتْ نفسُهُ حبيسةً تبحثُ عن منفَذٍ ولا تَجِدُهُ))[3]، ولذلك فقد نظر إلى الزمن من نواحٍ متعددة فكان موقفه منه مقسّما على مراحل وكما يأتي:

أ. موقفه من الزمن وهو في مقتبل العمر، إذ كان يعوّل عليه كثيراً ، قال:

---

(1) ديوانه: 140/2.
(2) ديوانه: 140/2، الهامش رقم (12).
(3) المفارقة الشعرية (المتنبي أنموذجًا): اطروحة دكتوراه، سناء هادي عباس،باشراف أ.د فائز طه عمر , كلية الآداب , جامعة بغداد , 2006 م , ص64.

أريدُ من زمني ذا أن يبلّغني   ما ليس يبلُغهُ من نفسه الزمنُ [1]

فهو لا يريد أن يُعرضَ عليه شيءٌ إنّما يريد انتزاع الأشياء انتزاعًا.

ب.ولكنّ الزمن لم يعطه ما يريد. فقال:

أعطى الزمانُ فما قبِلتُ عطاءَهُ   وأرادَ لِي فَأردتّ أن أتخيَّرا[2]

جـ. بعدما تعرّض لنكبات الزمن لا زال يحاول ويتحدّى، كما في قوله:

أمِثلـي تأخـذُ النَكباتُ منـــهُ   ويجزعُ من مُلاقـاةِ الحِـمامِ

وَلو برزَ الزمانُ إليّ شخصًا   لَخَضَّبَ شَعـرَ مِفرَقِه حُسامي

ومـــا بلغت مشيئتها الليالـي   ولا سارت وفي يدها زمامي[3]

د. موقفه بعد مخاصمة الزمن، كما في قوله:

ما أجدَرَ الأيّامَ واللّيالي   بأنْ تقول: ما لهُ ومالي؟ [4]

هـ. ويبدأ المتنبي موقفاً جديداً وهو هجاء الزمن، إذ قال:

قُبحاً لِوجهِكَ يا زمانُ فإنّهُ   وجهٌ لهُ مِن كلِّ قُبحٍ بُرقعُ [5]

و. ثم يبدأ موقف الانكسار ممزوجاً بالقوة وتعداد نكبات الزمن، قال:

أذاقني زمني بلوى شَرِقتُ بها   لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا[6]

وقال:

وأحسبُ أنّي لو هويتُ فراقكم   لفارقـتهُ والدّهـرُ أخبثُ صاحبِ

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتـي   من البُعد ما بيني وبين المصائبِ[7]

وقال أيضًا:

---

(1) ديوانه: 268/4.
(2) ديوانه: 190/2.
(3) ديوانه: 122/4.
(4) ديوانه: 21/4.
(5) ديوانه: 14/3.
(6) ديوانه: 174/1.
(7) ديوانه: 194/1.

رماني الدّهرُ بالأرزاء حتّى فؤادي فــــي غشاءٍ من نبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سهـامٌ تكسّرت النّصالُ على النّصالِ[1]

بهذه المعانيّ الجديدة والاستخدامات اللغويّة الخاصة ارتقت شعريّة المتنبي وأظهَرَ شجاعته وقوة تحمّله للمصائب والشّدائد فصار فؤاده في غشاءٍ من نبالٍ، وجاء بصورة شعرية جديدة من خياله حيث يتخيّل نفسه وهو يحارب الدهر، ثم يصف مدى قوته وتحملّه وقد أصابت صدره سهام الأرزاء حتى تكسّرت فوق بعضها.

3. الموقف من المدينة:

إنّ غموض النسب واضطراب النشأة وعدم الاستقرار ترك في نفس المتنبي موقفاً سلبيا من المدينة، فلم تظهر في شعره صورة المدينة الفاضلة، ولم يشعُر بالحنين تجاه الكوفة ولا بحرارة الاشتياق ولوعة الفراق لملاعبها وأحيائها برغم هجرته وابتعاده عنها منذ شبابه، ولم يذكر أهلَ مدينته- في الغالب- إلّا في نصوص تحمل دلالات الغضب والتّهديد، قال في صباه:

لا تَحسُنُ الوفرةُ حتى تُرى منشورة الضفرين يوم قتالِ
على فتًى معتقلٍ صِعــــْدةً يَعُلّها مِن كلّ وافي السّبالِ[2]

فمنذ صباه توعَّدَ المتنبي كل (وافي السّبال)، وقد طغتْ على لغته الشعريّة ألفاظ القسوة بدلًا من ألفاظ الشّوق والحنين التي كنّا نتوقعها من إنسان هجرَ مدينته أكثر من ستةَ عشرَ سنة، ولكنّه يقول:

لئِن لذّ يومُ الشّامتين بيومها فقد ولدت منّي لأنفِهم رغما[3]

---

(1) ديوانه: 104/3.
(2) ديوانه: 205/3.
(3) ديوانه: 172/4.

وتلك الألفاظ تدلّ على الهوّة العظيمة بينه وبين أبناء مدينته، ثمّ يقول في القصيدة نفسها:

كأنّ بنيهمُ عالمون بأنني جَلوبٌ إليهم من معادنهِ اليُتُما[1]

وحتّى مسألة تسميته بالمتنبي ـ نسبة إلى النبوءة ـ فإنّه يتّهم أهل الكوفة بأنّهم لقّبوه بالمتنبي وألصقوا هذه التّسمية به، لأنّه عندما سُئِلَ عن حقيقة لقبه قال: ((والله، ما تَنَبّأتُ قَط، إلّا أنّ أهل الكوفة لقّبوني بذلك لمّا رأوا فِيَّ من شمائل الإصابة في القول ومخايل النجابة في إيراد الحكمة عليهم))[2].

لقد تأصّلت مشاعرُ القسوة والتّنافر في نفس المتنبي واختزنها عقله ليُنتجها في مطلع قصيدة مدح بها عليَ بن إبراهيم التّنوخيّ إذ قال:

مُلِثَّ القِطرِ أعطشَها ربوعًا وإلّا فاسقِها السّمّ النّقيعا [3]

وفي هذا المطلع جاء بأسلوبٍ جديدٍ لم يألفه النّقّادُ من قبل، فقد قلب الفكرة المُعتادة بالدعاء للدّيار بالخير ووفرة المطر، وتجاوز المعاني التقليدية المألوفة، وكسرَ أفقَ التوقّع الموروث، ولم يذكر أسماء القُرى وأماكن الطفولة إلا في بعض الأبيات التي تدل على نسيانها أو تناسيها ومثال ذلك قوله:

أمُنسِيَّ السّكونَ وحضرموتا ووالدتـــي، وكِنـدةَ والسَّبيعا[4]

إنّ مشاعرَ التّعلّق بالدّيار جاءت في شعره تدلّ على ديار الممدوح لغرض المجاملة أو تحقيق غرض المدح، قال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج:

ودُسنا بأخفاف المَطيّ تُرابَها فلا زِلتُ أستشفي بلثمِ المناسِمِ [5]

---

(1) ديوانه: 172/4.
(2) التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطّيّب المتنبيّ: أبي عليّ الحسين بن عبيد الله الصّقِلّي المغربيّ، تح د. أنور أبو سويلم، دار عمّار للطباعة والنشر، عمّان، الأردن، 1981م، ج1، ص28.
(3) ديوانه: 254/2.
(4) ديوانه: 259/2.
(5) ديوانه: 175/4.

كان من الأجدر أن يقول مثلَ هذا البيت، أو يصوّر مثل تلك المشاعر بِحقِّ مدينته (الكوفة) مسقط رأسِه ومنازل أهله وأقاربه وأصدقائه، إلا أنّ شيئًا من ذلك لم يحصل، وقد ظلّ المتنبي محافظاً على موقفه سواء من مدينته (الكوفة) أم غيرها، حيث عُرِفَ عنه عِشقُ البوادي والتّغزّل بالأعرابيات، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة يمدح كافورًا:

مَنِ الجآذِرُ في زيِّ الأعاريبِ　　حُمرَ الحُلى والمطايا والجلابيبِ [1]

ثُم يبدأ بوضع موازنة بين بناتِ الحَضر اللواتي يُمثِّلنَ المدينة، وبين بنات البادية اللواتي يُمثِّلنها إذ قال:

ما أوجُه الحَضَرِ المُستَحسَناتُ بــه　　كأوجُـــهِ البدويـــات الرعابيبِ
حُسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطــريةٍ　　وفي البداوةِ حُسنٌ غيرُ مجـلوبِ
أينَ المعيزُ مـــن الأرام ناظـــرةً　　وغيرَ ناظرةٍ في الحُسنِ والطّيبِ
أفدي ضِباءَ فلاةٍ ما عَرَفـنَ بـــها　　مضَغ الكلامِ ولا صِبغَ الحَواجيبِ
ولا برَزنَ من الحـمّام ماثِـــلةً　　أوراكُـــهنّ صقيلات العراقيـــب
ومِن هوى كلِّ من ليستْ مموّهـةً　　تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضُوبِ
ومِن هوى الصّدق في قولي وعادتِهِ　　رغِبتُ عن شعَرٍ في الرأسِ مكذوبِ [2]

---

(1) ديوانه: 202/1.
(2) ديوانه: 204/1 -205 .

لقد جمع المتنبي في هذه القصيدة المتضادات المعنويّة ليُثبت جمال الأعرابيات وميله نحو الأشياء الطبيعية غير المصطنعة.

إنّ من غير الممكن عزل ثقافة الإنسان عن نتاجه الفكريّ، فالرّوافد التي ينتهل منها سواء كانت تربويّة، أو علميّة، أو لغويّة ، أو دينيّة تتساوق جميعها مُستَمَدَّةً من المواقف والتجارب الشخصيّة وغير الشخصية، لتتحوّل إلى بِنية فكريّة مستقلّة، ورؤية متكاملة ينطلق بها الإنسان، ولِأنّ فروع الثقافة وروافدها كثيرة ومتنوّعة، ولا يمكن حصرها، فلا يزعُمُ الباحثُ هنا الإحاطة التّامّة بكل تفاصيل المؤثِّر الثقافي بقدر ما يحاول توجيه الأضواء على أهمها، وما لها علاقة مباشرة بصياغة شعريّة المتنبي وحداثتها، ومن أبرز المؤثّرات الثقافيّة:

1. القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم من أهم الروافد التي انتهل منها المتنبي، فرفدَ شعريتهُ، وطوّر أساليبه، فمنذ النشأة الأولى ومدينة (الكوفة) كانت تعُجّ بعلماء الدين والفقه والشريعة والأدب واللغة، وكونه شاعراً ينشدُ التألّق والرُّقيّ وولوج عوالم الإبداع والتّميّز، فقد كان من الطبيعيّ أن يتوجّه الى أعظم مُعجِزٍ نزل على العرب بأساليبه البيانية الراقية، وأن يستمدّ منه لغة أخرى تضاف الى لغته ليستند الى قواعد رصينه ثمّ ينطلق بعدها، لقد قرأ المتنبي ((القرآن والحديث وخُطبَ الراشدين، وما نُقلَ الى العربيّة من أقوال فلاسفة اليونان والهند والفرس وحِكم عُقلاء الشّعراء))[1]، وديوانه حافل بألفاظ وتراكيب القرآن الكريم، ومعاني الأحاديث الشّريفة، وبعض القصص التي تناولت الأنبياء والرّسل والأمم الغابرة، وانظر إليه كيف يرتقي بشعريته من خِلال استحضار موقفٍ أو قصّةٍ ذكرها القرآن. قال:

كأنّ كـلّ سؤالٍ فــي مسامعهِ   قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ[2]

---

(1) في الأدب العباسي: محمد مهدي البصير، مطبعة السّعدي، بغداد، ط2، 1955م، ص384.
(2) ديوانه:207/1.

وقد استمدّ هذه الصورة من قوله تعالى: ((**إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين**))(1).

لو حاولنا تفكيك الصورة التي رسمها الشّاعر لأصبحنا أمام لقطتين هما:

اللقطة الأولى: أمير يبتهج في لحظة الكرم والعطاء.

اللقطة الثانية: يعقوب (عليه السلام) يُردُّ إليه بصرُهُ بعدما جاؤوا له بقميص يوسف (عليه السلام).

إنّ المسافة التخيّلية بين الصورتين بعيدة جدًّا، إلّا أنّ المتنبي بابتعاده عن المُتشابه وتقريبه اللامتجانس والمتباعد بصلاتٍ بعيدة، يخلُقُ الشعرية ويجعل المستمع يتفاعل بذاكرته وخياله من أجل إنتاج النّص الشعري والارتقاء به، وهذا هو سرّ نجاح المتنبي الذي يتركُ مجالًا ومسافةً يتحرّك فيها النص بين المُنتج والمُتلقّي، ولا يستحوذ على نسيج النص بالكامل، وإنّ الشواهد الشعرية التي تدل على توظيفه بعض القصص القرآنية في شعره كثيرة، نذكر منها قوله:

ملاعِبُ جنّةٍ لو سار فيها سُليمانٌ لسارَ بترجمان(2)

وكذلك توظيف قصص المسيح (عليه السلام) وصالح (عليه السلام) لتفعيل وتعميق فكرة الاغتراب وعدم التجانس التي يعيشها المتنبي وسط قومه، ويظهر ذلك في قوله:

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيحِ بين اليهودِ(3)

وقوله:

أنا في أمّة تداركها اللـه غريبٌ كصالحٍ في ثمُودِ(4)

ويظهر من الشّواهد الشّعرية السابقة أن المتنبي قد قرأ القرآن الكريم وتأثّر بأساليبه، بطريقة شاعر لا عابد، حيث سخّر الأساليب القرآنية التي أذهلت العقل

(1) سورة يوسف: الآية93.
(2) ديوانه:283/4.
(3) ديوانه:31/2.
(4) ديوانه:34/2.

العربي وأوقفته أمامها عاجزًا عن أن يأتي بمثله، ولمعرفتنا الأكيدة بشخصيّة المتنبي القويّة، وطُموحاته السامية، وتصميمه وهمّته وعزمه في أن يرتقي القمّة، فإنّنا على يقين أنّه وقف أمام القرآن وقفة طويلة ليُحاول إعجاز أهل اللغة والأدب.

2. الكوفة:

تُعدّ مدينة الكوفة (موطن نشأة الشاعر) من أهم المؤثّرات التربويّة واللغويّة والثقافيّة التي تركت أثرها في شعرالمتنبي، فقد نشأ في وسطٍ دينيّ علويّ، وألحقهُ والدهُ بإحدى المدارس العلويّة ((وبذلك اتصل مباشرة بتعاليم الشّيعة)) [1]، وفيها تعلّم اللغة العربيّة والأدب وعلوماً أخرى، ويمكن القول ((أنّ وجود مثل هذه المدارس أو الكتاتيب يتّفق إلى حدّ كبير مع طبيعة الحياة الاجتماعية والحياة المذهبيّة للكوفة)) [2] التي كانت مزدهرة بعلوم الدين واللغة، وكانت مناراً للعلم، نشأت فيها إحدى أهم المدارس اللغويّة والنّحويّة في العربيّة، والتقى فيها المتنبيّ بأعلام اللغة ((كابن خالويه، وأبي الطّيب اللغويّ، وأبي عليّ الفارسيّ، وأبي الفتح بن جنيّ، وعليّ بن حمزة البصريّ))[3] وغير هؤلاء ممن كان له الدّور الكبير في ترسيخ قواعد اللغة العربية. وقد ((كان للاستقرار في البلدان المفتوحة أو التي أُسّست إبّان حركة الفتح، كالبصرة والكوفة، دور حاسم ـ تقريباً ـ في خلق الحساسيّة الشعريّة الجديدة)) [4] ولذلك فقد نهل المتنبي من المذهب النحويّ الكوفيّ وانتشر في ديوانه ولغته، وقد ((وُصِفَ الاتجاه الكوفيّ في بغداد بالمُكابرة))[5]، ولعلّ ذلك يُفسّر أسلوب الشاعر الذي يميل نحو الغرور والتّكبّر، ومن الأبيات التي طغى عليها المذهب الكوفيّ قوله:

---

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط6، ص303.
(2) ثقافة المتنبيّ وأثرها في شعره: هدى الأرناؤوطي: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1977م، ص23.
(3) م ن : ص56.
(4) الثابت والمتحول، تأصيل الأصول: أدونيس، دار العودة، بيروت، ط3، 1982م، ج2، ص104.
(5) م ن : ص56.

أَبعِد بَعِدتَ بياضًا لا بياض لهُ　　　لأنتَ أسودُ في عيني من الظُّلَمِ[1]

لقد صاغ المتنبي أفعلَ التفضيل من اللون (أسود) وقد ((حكى الفرّاء عن حميد بن الأرقط قوله: سمعتُ العرب تقول: ما أسود شَعرَهُ))[2]، ومثال ذلك قوله أيضًا:

وَاحرّ قلباه ممّـــن قلبهُ شَبِمُ　　　ومَن بجسمي وحالي عنده سقمُ[3]

وقد كان أصل اللفظة (وآحرّ قلبي) ويفترض أن تتحوّل إلى (وآحرّ قَلبياه) إلا أن الشاعر أبدَلَ الياءَ ألفًا طلبًا للخفّة، واستجلب هاء السّكت وأثبتها في الوصل كما تُثبت في الوقف، وحرّك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها، وقد ((أجاز الفرّاء وغيره إلحاق الهاء في الوصل))[4]، ومن الأمثلة الأخرى على أسلوبه ومذهبه الكوفيّ قوله:

وحمدانُ حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ　　　وحارثُ لقمانٌ ولقمانُ راشد [5]

وقد ((ترك صرف حمدون وحارث ضرورةً، وقد أجازه الكوفيّون ونحن نأباهُ))[6].

لقد سار المتنبي على الطريقة النحويّة الكوفيّة ((فالشاعر كما وصفه بعضُهم كوفيّ المولد، كوفيّ النشأة))[7]، وقد إتّبعَ أغلب خصائصهم النحويّة وأساليبهم اللغويّة ((ويُمكن إيجاز الخصائص النحوية لمدرسة الكوفة كما يلي: الأخذ بكل ما جاء عن العرب، واعتباره أساسًا يجوز القياس عليه، حتّى لو كان شاذًّا. يقول السّيوطيّ: ((مذهب الكوفيين القياس على الشّاذ)) (الاقتراح، ص102)، ويقول عنهم أنّهم كانوا ((

---

(1) ديوانه : 113/4.
(2) ثقافة المتنبيّ وأثرها في شعره: هدى الأرناؤوطي، ص 72-73.
(3) ديوانه : 61/4.
(4) الوساطة بين المتنبيّ وخصومه: للقاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاويّ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006م، ص383.
(5) ديوانه : 280/1.
(6) الفَسْر: أو شرح ديوان أبي الطّيب المتنبيّ لابن جنّي، تح وشرح د. صفاء خلّوصيّ، مطبعة الشّعب، بغداد، 1978م، ج2، ص248.
(7) ثقافة المتنبيّ وأثرها في شعره: هدى الأرناؤوطي، ص72.

إذا سمعوا لفظًا في شعرٍ أو نادرَ كلامٍ جعلوه بابًا أو فصلًا)) (همع الهوامع، للسيوطي:45/1). ويقول الأندلسيّ : ((لو سمعوا بيتًا واحدًا فيه جواز شيءٍ مخالفٍ للأصول جعلوه أصلًا وبوّبوا عليه)) (الاقتراح، ص100)، ويصف الكسائيّ بأنّهُ ((كان يسمع الشّاذ الذي لا يجوز إلّا في الضّرورة فيجعلُهُ أصلًا ويقيس عليه)) (بغية الإيضاح، ص336، ومعجم الأدباء: 190/5)))[1].

إنّ إتباعه لهذه المدرسة يفسّر تعرّضه للنقد والاستغراب وكثرة التأويل والمجادلة من قِبل النّقاد واللغويين.

وقد وفّر له التحاقه بالمدارس العلويّة بيئة دينية شيعية نهل منها وتعلّم أصولها وانتقلت أغلب مبادئها إلى نفسه فسيطر عليه الشعور بالفخر والاعتداد بالنفس اعتدادا مفرطًا، وتسامي الذات حتى رآي الجميع صغارًا في عينه ((فسلك مسلك التّعالي والتّحدي والمفاخرة))[2] إيمانًا منهُ بِنفسه وبقضيّته وبشعره.

وتراه في أغلب قصائده يَصِفُ نفسه بالسّمو بطريقة مبالغ فيها كقوله:

أمِط عنكَ تشبيهي بِما وكأنّه　　　فما أحدٌ فوقي وما أحدٌ مِثلي[3]

إنّ شحنة التقديس التي أفرغها الشاعر في البيت السابق (ما أحدٌ فوقي ولا أحدٌ مثلي) تسرّبت إلى نفسه من المذهب الشِيعيّ في تقديسه للأئمة والأولياء، وظهرت في لغته الشعرية وهو يتحدّث عن نفسه أو عن ممدوحه.

أضف إلى كل تلك المؤثرات حِدّة ذكائه وسرعة حِفظِهِ التي عُرِفَ بهما، فقد أقبلَ بشغفَ ((على مُختلف الثقافات في عصرهِ يَعُبُّ منها وينهلُ من ينابيعها)) [4]، وقد شهِدَ

---

(1) الثابت والمتحول: أدونيس،ص165-166.
(2) المتنبيّ يسترد أباه: عبد الغني الملاح، ص27.
(3) ديوانه : 113/4.
(4) لغة الحبّ في شعر المتنبيّ: د. عبد الفتّاح صالح نافع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1983م، ص23.

له جاره أبو الحسن (محمد بن يحيى العلويّ) بقوله: ((كان أبو الطيّب وهو صبيّ ينزل في جواري بالكوفة، وكان مُحبّاً للعلم والأدب، فصَحِبَ الأعرابَ في البادية، وجاءنا بعد سنين بدويّاً قُحاً، وكان تعلّم الكتابة والقراءةَ فلزِمَ أهل العلم والأدب، وأكثَرَ من مُلازمةِ الورّاقين فكان علمُهُ من دفاترهم)) (1)، ويتّضح من ذلك أنّ التدريس والتهذيب قد اجتمعا مع الفِطرةِ والمَلَكةِ ليُكوِّنا صبيًّا متعلّماً ومُحباً للاطلاع يمتلك حافظة قويّة أكّدها البديعيّ نقلًا عن ورّاقٍ بأنّه قال: ((ما كانَ أحفظُ من ابن عيدان قط)) (2)، وتوفّرت له بيئة متحضّرة تحتضن العلم والعلماء والأدب والأدباء، أثّرت جميعها في شعريته.

3. الموروث الشعريّ:

لقد تفاعل المتنبي مع الموروث الشعري القديم، ((فالإرتداد إلى الماضي، أوإستحضاره، من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع)) (3)، إلّا أنّ أغلبَ كتب الأدب والنقد قد تكلّمت عن ذلك التفاعل، وعدّه بعضُهم مما يقع في باب السّرقات واستغرقوا معظم كتبهم،ودرسوا فيها تأثّره بالشّعراء وتتبعوا صُورهُ وألفاظه ومعانيه بشكل مفصّل، مثلما فعل القاضي الجرجاني في كتابه ((الوساطة)) حيث استغرق فصل (سرقات المتنبي) معظم ذلك الكتاب(4)، وقد ذكر فيه الجرجانيّ أسماء شعراءٍ أخذ منهم المتنبي أحصاهم الباحث فكان عددهم (227) شاعرًا، وهذا إنّما يؤكد حقيقتين: الأولى : أنّ المتنبي تمكّن من تحريك علماء اللغة ونقّاد الأدب، ففريق يناصره ويُظهِرُ قوة شاعريّته، وفريق يتهجّم عليه ويتتبّع سقطاته بيتاً بيتاً، وآخرون يأتون بالوساطات ليواءموا بين الفِرَقِ، فتحوّل عصره إلى عصر حراك نقديّ لم تشهده العصور قبله. أما الثانية: فهي أن جُلّ الذين درسوه وفصّلوا القول في ردّ أبياته الى منابعها حاولوا بذلك

---

(1) الصبح المُنبي: يوسف البديعي، ص20.
(2) م ن : الصفحة نفسها.
(3) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب، مطابع المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، 1995م، ص142.
(4) ينظر: الوساطة بين المتنبيّ وخصومه للقاضيّ الجرجانيّ، ص186-341 .

Abstract

This study gained a special importance because it dealt with a great poet who made the scholars bussy in the past and now .Also the study dealt with a special term which forms in its concept big difficultness because of its foggy and ambiguousness. Noteworthy, no one of these scholars paid attention to attempt connection between the Al-Mutanabby's poetic modernity in his period and the poetic modernity in the modern age.

Thus ,this study is concerned modern in its subject in spite of the studies about Al-Mutanabby and the modernity each one was separated .

This study affirmed through Al-Mutanabby's poetry that he led a poetic modernity in his period came mostly matching with the characteristics and appearances of the poetic modernity in the modern age . His poetry seemed to incline to the rationality with strong inclination to freedom, anxiety ,pessimism, revolution and rebellion prevailed on his poetic language and this was cured in the second chapter characterized of mental modernity . The third chapter characterized of (artistic modernity)dealt with innovation ,invention, ambiguousness and deception at last it dealt with the immovable and changeable . The first chapter characterized of

(influences) studied the most reasons which were behind the poetic creation of Al-Mutanabby and the most important tributary which he took from .They were the reason of that match between his poetry through his age and characteristics and appearances of the modernity in the modern age . This chapter treated the most important influences across three discussions ; ambiguousness of the dynasty, culture and the expansion of the egoat Al_Mutanabby.The researcher sought help of the most critical approaches to get the accurate results.

Researcher

SANDAL IBRAHEEM SALMAN